

الشذوذ الجنسي والمقدس من الأسطورة إلى الدين

Homosexuality and the sacred from myth to religion

د.زهرة الثابت *

كلية الآداب والعلوم الإنسانية القيروان، تونس ،

University of arts and humanities, Kairouan, Tunisia

(thzohra@gmail.com)

تاريخ النشر: 2025/12/10

تاريخ القبول: 2025/10/06

تاريخ الاستلام: 2025/06/24

ملخص:

تبوأ الجنس منزلة مهمة في حياة الفرد منذ الأزل، إذ هو أصل الخلق والوجود. لذلك عدت ممارسته حاجة أكيدة لنشر الحياة وإنماء الوجود. واعتقد الإنسان القديم في قداسة الجنس باعتباره تنفيذا لإرادة الإله، لذلك تنوعت ممارساته. ويعتبر الشذوذ الجنسي من أبرز الممارسات الجنسية التي أقدم عليها الإنسان البدائي. ونروم من خلال هذه الورقة العلمية النظر في العلاقة الرابطة بين هذا السلوك الجنسي والمقدس في الأساطير والأديان التوحيدية، فهل يكون الشذوذ صناعة إلهية؟ وهل يكون الإله قد بارك هذا السلوك منذ عهود غابرة؟ فقد تبين لنا أن الشذوذ الجنسي في الزمن الأسطوري كان ضرورة لا بد منها لتنفيذ فعل الخالق ومشيبته وهو ليس إلا ممارسة أريد بها معانقة المقدس، وإن لم يكن هذا السلوك محكوماً بمقولاتي الحلال والحرام. اللتين لم يعرفهما الإنسان المتدين إلا مع ظهور اليهودية والمسيحية والإسلام تلك التي تناولت ظاهرة الشذوذ الجنسي ونهت من مغبة اقترافه لأن هذا السلوك ليس إلا وجهاً من وجوه فوضى الجنس ومروفاً عن الطبيعة. وما إشادة النصوص المقدسة بهذه الظاهرة إلا من باب الحرص على ترشيد المتعة المحظورة.

كلمات مفتاحية: الشذوذ الجنسي - المقدس - الأسطورة - اليهودية - المسيحية - الإسلام.

Abstract:

Sex has held an important position in an individual's life since time immemorial. It is the origin of creation and existence. Therefore its practice is considered a definite need to spread life and develop existence . ancient man believed in the sanctity of sex as an implementation of the will of God , so his practices varied. Homosexuality is considered one of the most prominent sexual practices practiced by primitive man.

Through this scientific paper , we seek to examine the relationship between this sexual behavior and the sacred in myths and monotheistic religions. Is homosexuality a divine creation to test the individual believer ? Has God blessed this behavior since ancient times ?

It has become clear to us that homosexuality in mythical times was an indispensable necessity for carrying out the work and it was nothing but a practice by which i wanted to embrace the sacred. Even if this behavior is not governed by the concepts of permissible and forbidden, which the religious person did not know except the emergence of Judaism, Christianity, and Islam, those religions that dealt with the phenomenon of homosexuality and warned against the consequences of committing it, because this behavior is nothing but an aspect of the chaos of sexuality and a departure from nature. The sacred texts praise of this phenomenon is only out of concern for rationalizing forbidden pleasure.

Keywords: Homosexuality – The sacred – Myth – Judaism – Christianity – Islam.

*المؤلف المرسل

1. مقدمة:

يعتبر الجنس من أهم جوانب الحياة البشرية، إذ هو الحقيقة التي لا يمكن أن يتنصل منها المرء فهي "جزء طبيعي من شغلة الحياة ذاتها وضعها الإله ذاته، ولولاه لما تمخض خلقه الكائنات عن تكاثرها" (مقار، 1998، ص.16). ولما كان هذا الموضوع على هذا النحو من الأهمية فقد كان الحاضر الغائب فينا لأنه "شاغلنا من حيث ندري أو لا ندري مائل أسماعنا وعقولنا ومشاعرنا وكلماتنا التي بها نتحدث وأحاديثنا التي بها نتواصل" (محمود، 1994، ص.9). إذ يحضر موضوع الجنس في أفاصيلنا ومروياتنا، في نكتنا وملحننا، وفي شتائمنا وأهاجينا، وفي أشعارنا ورواياتنا، وظل الجنس الموضوع اللين الذي تنشد إليه النفس انشدادا عنيفا والموضوع الممنوع طرقة حتى أن الحديث عنه كان يجري "بصيغة التلميح لا التصريح تفاديا للشعور بالحرج ومخافة أن يوصم المتحدث بالجرأة وتجاوز حدود اللباقة والأدب" (دونان، 2017، ص.14).

ولكنه ظل أيضا الموضوع المرغوب فيه خصوصا وأن العرب لم يطووا بيان هذه القضية، بل إنهم وقفوا عند أدق تفاصيلها في كتب علم الباه التي صنفها النفزاوي (النفزاوي، 1993) والتيفاشي (التيفاشي، 1992) والتيجاني (التيجاني، 1992) والسيوطي (السيوطي، د.ت.و. 1997). وغيرهم من الذين فصلوا الحديث في موضوع الجنس وتوقفوا عند العلاقات الجنسية بمختلف ضروبها. وكان

ولع العربي بالجنس وجرأته في طرح هذه المسألة له ما يبرره، إذ هو يمتح من معين الأسطوري والديني، ذلك أن المتدبر للأساطير القديمة والنصوص الدينية يلحظ أن هذه المدونات طفحت بقصص الجنس وبالعلاقات الجنسية الشاذة على وجه الخصوص من نحو البغاء واللواط والزنى والسحاق وسفاح الأقارب. ومعاشرة الحيوان واستقر الفرد منذ الزمن الأسطوري على قناعة مؤداها أن الشذوذ الجنسي لم يكن إلا سبيلا لمعانقة المطلق والمقدس.

ونروم من خلال هذه الورقة العلمية الوقوف عند هذا التحول الجنسي في الأساطير والنصوص الدينية المقدسة وصلته بالمقدس، مستأنسين بالمنهج الاستقرائي، إذ اتضح لنا أن ممارسة الجنس كانت منذ البدء طقسا دينيا وشعيرة اختلقها الإله وباركها لمعانقته والاتصال به. فأى علاقة يمكن تجمع بين الجنس والمقدس؟ وأي موقف اتخذته الإله من الشذوذ الجنسي عبر الرحيل الثقافي من الأساطير نحو الأديان التوحيدية؟ .

1- مدخل اصطلاحي: في مفهوم الشذوذ الجنسي

تقتضي منا المعالجة المنهجية لمسألة الشذوذ الجنسي والمقدس في الأسطورة والأديان الوقوف عند مصطلح الشذوذ الجنسي أساسا لأنه مصطلح جوهري. وقد جاء هذا المصطلح تركيبا مزجيا لمفردتين أضيفت إحدهما إلى الأخرى للتعريف ورفع اللبس وهما الشذوذ والجنس.

1-1- في مفهوم الجنس

يبدو الوقوف عند مفردة الجنس هو الأهم بنظرنا إذ الشذوذ بعض من متعلقات الجنس. والمتقفي لدلالات هذه الكلمة يلحظ أنه لم يشكل على العرب أمر قدر ما أشكل عليهم ضبط مفهوم دقيق لمصطلح الجنس رغم غزارة ما أنتجوا حول هذا الموضوع "فالعرب الذين يمتلكون منذ أربعة عشر قرنا خطابا عن الجنس لم يعد لديهم اليوم مفهوم للجنس في اللغة التي يكتبونها ويتكلمون بها بلغات عديدة" (دونان، مرجع مذكور، ص.14) والدليل على ذلك أن المتدبر للمعاجم العربية لا يكاد يظفر بدلالة واضحة لمعنى الجنس بما هو حاجة غريزية بيولوجية، فأقصى ما يمكن أن يعثر عليه متصفح للسان العرب مثلا قول صاحبه: "الجنس هو الضرب من كل شيء وهو من الناس والطير ومن حدود النحو والعروض والأشياء جملة" (ابن منظور، 1999).

أما الجنس بما هو غريزة فنعدم وجود هذا المفهوم وكأن هذا المصطلح حديث العهد تطرقت له الدراسات والكتب الحديثة خاصة في علم التحليل النفسي فكان أن عرف فرويد الجنساني بأنه اللذة الناجمة عن الاتصال الجسدي بعد أن استقر الفهم في بعض المعاجم من أن الجنس هو النوع والجنساني ما اتصل بالذكورة والأنوثة ثم صار الجنس حاملا لدلالات مختلفة فهو "يحيل ليس فقط إلى النشاط الجنسي (ممارسة الجنس) بل يحدد أيضا الفرق بين التشرح الذكري والتشرح الأنثوي (امتلاك الأنثى)" (بريستو، 2007، ص.7).

2-1- في مفهوم الشذوذ الجنسي

يعدم المتقني لأثر كلمة "شذوذ" في مظاهرها المعجمية اتصالها بالبعد الجنسي إذ أقصى ما يمكن أن يعثر عليه القارئ أن الشذوذ هو الانفراد عن الجماعة ف "شذَّ عنه يشذَّ ويشذَّ شذوذاً انفراداً عن الجمهور ونندر" (ابن منظور، مرجع مذكور). وجاء في المعجم الفلسفي أن "الشاذ ضد السوي وهو ما كان مخالفاً للقاعدة منحرفاً عن الأس السوي، والشذوذ هو الخروج عن المألوف، والمثال منه اتصاف الفرد بصفات يندر وجودها في أبناء جنسه أو فقدانه إحدى الصفات الشائعة فهم وهي خلقي ومكتسب" (صليبا، 1982، ص. 685). وربما يعزى انعدام مصطلح "الشذوذ الجنسي" عند العرب إلى تأسيهم بما ورد في القرآن من سجل معجمي تراوح بين الفاحشة وإتيان الذكران والزنا وإيتاء الخبائث. أما اصطلاحاً فالشذوذ هو "كل انحراف عن الطريق الطبيعية في إشباع الغريزة بمختلف أنواعها، فإن من يمارس الجنس بغير وضعه الطبيعي هو شاذ جنسياً" (العطوي، د.ت). والشذوذ أيضاً هو "انحراف عن الطريق المحدد شرعاً أو هو ضرب من الممارسة الجنسية يخرج فيه أصحابها عن سبل الاتصال الجنسي الطبيعي المألوفة بمعنى أن الشخص الشاذ جنسياً هو الذي يجد متعة جنسية بعيداً عن عملية الجماع الحقيقية بين الذكر والأنثى عن طريق الزواج" (عطية، 2015، ص. 14). ويتمثل الشذوذ الجنسي "في اتصال جنسي بين جنسين متطابقين ويطلق عليه علماء النفس مصطلح المثلية الجنسية (Hetro sexuality) ومن صورها اتصال جنسي بين ذكر وذكور آخر من بني جنسه وهو ما يعرف باسم اللواط. أيضاً الاتصال الجنسي بين امرأة وأخرى مثلاً وهو ما يعرف باسم السحاق أو التذالك والاتصال الجنسي بين الرجل والمرأة وبين الحيوان وسي ذلك بمواقعة الحيوان" (يونس، 2010، ص. 14). وعليه فالشذوذ الجنسي هو مروق عن الطبيعة الإنسانية وإتيان المتعة بطرق تأبها الفطرة ولهذا السلوك ألوان منها اللواط والسحاق والزنا والبغاء ومعاشرة الحيوان.

2- الشذوذ الجنسي في الأسطورة

قدّس الإنسان البدائي الأول الجنس منذ الأزل واعتبر الدافع الجنسي "قبساً إليها يربطه بالمستوى النوراني الأسفى، ففي الفعل الجنسي يتجاوز الإنسان شرطه الزماني والمكاني ليدخل في حال هو أقرب ما يكون إلى الآن الأبدي فينطلق من ذاته المعزولة ليتحد بقوة كونية تسري في الوجود الحي" (السواح، 1985، ص. 177-178). بل إنه ذهب إلى نحت تماثيل ورقم طينية تكشف عن عمق ولعه بالجنس ففي الديانة الهندوسية مثلاً "كشف النقاب عن الكثير من التماثيل الطينية الخشنة الصغيرة لنساء عاريات أو شبه عاريات ويعتقد أنها أيقونات "الآلهة الأم" ذات الشأن العظيم ورمز الخصوبة الأنثوية... كما كشف النقاب عن حجارة على شكل خواتم زعم أنها تمثل رسوماً للمهبل الذي غدا في الهندوسية اللاحقة موضع تبجيل" (بارندر، د.ت. صص. 14-15). وعبد القضيب (اللينغا)، وأبرزت القصيدة الملحمية المهابهاراتا (Mahabharata) شيفا إله الفحولة بامتياز رغم تزدهده، إذ هام ببارفاتي واتخذها

زوجا له، بل إنه كان يمارس معها الجنس على مرأى من الجميع حتى لعنا وماتا وهما في حالة جماع بعد أن كرّس شيفا عبادة القضيب.

أمّا إله الحب كريشنا (Krishna) فقد كان يطارد راعيات البقر، فيسرق ثيابهن وهن يستحمنن ويجبرهن على أن يأتين إليه عاريات ليمارس معهن الجنس وهام بخليته راد (Radha) التي جعل من جسدها مسرحا يمارس فيه شهوانيته ويختبر فيه فحولته. ولكن ذلك لم يمنع رادا من أن تمارس الزنى بعد هجرها لزوجها (نفسه، ص.19).

وعرف الهنود ضروبا متنوعة من الشذوذ الجنسي لذلك فرض السفر الثاني من أسفار الأوبيشاد الكلاسيكية وتحديدًا شرائع مانو (Laws of Manu) جملة من العقوبات فالمرأة التي ترتكب السحاق (Lesbiaism) يشهر بها أمام مجتمعها بأن "يخلق شعرها عن آخر أو تقطع لها إصبعان وتلزم باجتياز المدينة من أدناها إلى أقصاها راكبة على ظهر حمار" (نفسه، صص.32-33)، أمّا من مارس اللواط فيجرد من طبقتة. وأمّا سفاح القربي فعقابه شديد إذ يقع "تمديد الجاني على سرير من الحديد المحيى أو وضعه في حالة عناق مع تمثال متوهج باللظى لامرأة أو بترقضيته وخصيتيه وإلزامه بحملهما والسير بهما ويداه مقيدتان إلى أن يخز المجرم صريعا" (نفسه، ص.33). وظهر في الأوساط الهندية أيضا البغاء ولكنه بغاء مقدّس إذ كرست خادما لله - الديقا داسيز (Deva - dasis) لخدمة الآلهة في المعابد الهندوسية وقدمت الفتيات كهبات للإله، بل إنهن "كنّ يزوجن إلى أحد الآلهة كرشنا أو شيفا غالبا وحسب الطقوس كانت بكارتهن تفض في حفل زفاف رسمي من قبل كاهن أو عراب ثري أو يجلسن على حجر قضيب" (نفسه، ص.40).

أمّا المصريون فقد تبوأ الجنس عندهم منزلة مهمة وكانت الجداريات والبرديات والرسوم شاهدة على الفعل الجنسي، بل إن الحياة الحميمية بين الذكر والأنثى نعثر عليها في الواقع على ضفاف النيل مثلما نعثر عليها في المعابد والمراسم الجنائزية الدينية. اعتقادا من المصريين من أن الميت لا بد أن يكون ذي قوة جنسية عظيمة في الحياة الأخرى. يقول (ليز مانيش) في هذا الصدد: "كان لتوحيد الذكر والأنثى في علاقة حميمة ضرورة لخلق أجيال جديدة و(حرص المصريون) على أن تمكن القوة الجنسية الدفينة للميت من توفير القدرة الجنسية له أيضا في الحياة الأخرى. كان لابدّ من إعداد المومياء بوسائل تضمن لها بقاء قوتها الجنسية وضمانات لإثارة الشهوة في الآخرة وكان ذلك يتضح بصورة أجلى في إعداد مومياء الذكر والأنثى" (مانيش، 2002، ص.7).

وكان المصريون أيضا يكرّسون بعض النسوة لإثارة شهوة الإله، هؤلاء النسوة اللواتي كن يكشفن عن مفاتهن في حضرة الإله لإثارة فحولته. ويورد في هذا الصدد المؤرخ ديودورس الصقلي نصا طريفا يوثق لمراسم دفن العجل أيس عند المصريين ووقوف النسوة أمامه عاريات لإثارتها جاء فيه قوله: " ينقلون العجل في زورق ملكي عليه قفص ذهب يكون العجل داخله، وحين يصل يتقدمون به إلى مذبح قدس الأقداس في معبد هيفا يستوس بمدينته ممفيس وخلال الأربعين يوما الأولى يسمح للنساء فقط

بالدخول إلى ساحته وإلقاء نظرة عليه وتقف النسوة في مواجهته ويرفعن ثيابهن كاشفات أعضائهن التناسلية وبعد الأربعين يوما يمنعن من المثلث أمامه مدى حياة العجل" (نفسه، ص.9). ويستشفّ من هذا النص أن إتيان الجنس فعل مقدّس لأن الإله نفسه يباركه، فالإله ست اغتصب الربة عناة التي كانت ترتدي زيّ الرجال (نفسه، ص.27) لذلك لم يجد المصريون حرجا في الإعلان عن الرغبة الجنسية أو الكرع من المتع الجنسية كيفما كانت السبل، حتى شاع بينهم الشذوذ الجنسي بجميع أنواعه فالملك رامسينوس يقيم لابنته غرفة لاستقبال الرجال واقتراف البغاء (المرجع نفسه، والصفحة نفسها)، ورمسيس الثاني يتزوج ابنته وكذا الشأن لأمينوفيس الثالث ولأخناتون. أمّا أمون فقد " كرّس له المصريون واحدة من أجمل الفتيات من أنبل العائلات لكي تكون عاهرة تضاجع من تشاء من الرجال حتى يتطهر بدنها (بحلول الحيض الشهري) وبعد تطهرها توهب بالزواج لرجل ولكن قبل الزواج وبعد تطهرها يقام حداد تكريما لها" (المرجع نفسه، ص.13).

وإلى جانب شيوع البغاء وزواج المحارم شاعت أيضا في صفوف المصريين القدامى ظاهرة اغتصاب الموتى المحنطين. يقول هيردوت في هذا الغرض: " لم تكن جثث زوجات المشاهير ولا النساء الجميلات المشهورات تسلّم للمحنطين فور موتهن بل بعد موتهن بثلاثة أو أربعة أيام حتى لا يتركوهن عرضة لاغتصاب المحنطين لجثتهن، وقيل إن ذلك كان بسبب ضبط أحد المحنطين يضاجع جثة سيدة ماتت حديثا وأدانه زملاؤه" (المرجع نفسه، ص.30). بل لقد شاعت زيادة على ذلك ظاهرة ممارسة الجنس مع الحيوانات التي كشفت عنها كتب الأحلام وتأويلها. فكان الرجل يواقع اليربوع وطيائر السنونو والخنازير، أمّا النسوة فكُنَّ يتخيرن مع الفأر والحصان والحمار والكبش والذئب والتمساح والثعبان (المرجع نفسه، ص.27) وغيرها من الهائم.

فالمصريون القدامى إذن لم يعرفوا اقتصاد المتع، بل إنهم قدّسوا الجنس حتى صار الشذوذ الجنسي أشبه بدين يدينون به لأنه الحلقة التي لا بدّ منها للاتصال بالمقدّس. وهو نهج ستستفيد منه الديانات التوحيدية ولا سيما منها اليهودية التي سترث أغلب أشكال الشذوذ الجنسي التي راجت في مصر قديما. وأمّا في الحضارة السومرية فقد كان الجنس يمارس بكل احتفالية خصوصا في المشاهد الإيروسية التي جمعت إنانا بحبيبها دموزي التي تطلب حرث الذكر لفرجها في غير حياء أو حشمة مردّدة:

"أما من أجلي، من أجل فرجي

من أجلي، الرابية لمكومة عاليا،

لي، أنا العذراء فمن يحرثه لي؟

لي أنا الملكة، من يضع الثور هناك؟

وبآتي الجواب: أيتها السيدة الجليّة، الملك سوف يحرثه لك، دموزي الملك، سوف يحرثه لك.

فتجيب جذلي: احرث فرجي، يا رجل قلبي." (كريم، 2017، ص.84)

شاعت طقوس الجنس المقدس وكان الاحتفاء بالمتعة الجنسية أمراً مشروعاً بل مقدساً تباركه الآلهة "فمقتضى المعتقدات السومرية كان واجباً دينياً على الحاكم في كل عام أن يتزوج بكاھنة ممّن نذرن أنفسهن إلى أنانا إله الحب والتوالد ضماناً لخصب التربة وخصب الأرحام" (كريم، د.ت.). وشاع الشذوذ الجنسي أيضاً في الحضارة البابلية وقدس الإنسان القديم الجنس وعدّه فعلاً دينياً مقدساً بل "قبساً إلهياً يربطه بالمستوى النوراني الإلهي" (السواح، 1985، ص.177). لذلك ارتبط الجنس بالطقس والعبادة وانتشر البغاء المقدس الذي أريد به "ممارسة جنسية مكرّسة لمنبع الطاقة الكونية، مستسلمة له، منفعة له، ذائبة فيه" (المرجع نفسه، ص.18). ومثل الجنس في الأساطير الرافدية أساس استمرار البشرية وسرّ النماء والخصب والازدهار، وليس أدل على ذلك من أن عشتار ظلت عنوان الشبق الحاد ومسرحاً للجنس الحرام إذ تذكر الأسطورة أنّ "الفلاح شوكاليتودو (كان) يرقمها من بعيد فلماً لاحظ أنها متعبة ولا تقوى على الدفاع عن نفسها عندئذ هجم عليها واغتصبها" (علي، 1999، ص. 61) وتطفح أيضاً ملحمة جلجامش ببعض الإشارات لممارسة الجنس باعتباره قوة دافعة ومنشطة للكون، زيادة على العلاقة الجنسية التي وجدت بين أنكيديو والبغي وشمخة التي نقلته من الوحشية إلى طور الإنسانية بفعل الجنس فقد جاء في الملحمة قوله:

"ستنكره حيواناته التي ربيت معه في صحرائه

إذا حظيت بك وانعطف بحبه إليك

وعلمت الوحش الفر من المرأة

فانجذب إليها وتعلق بها" (باقر، 1980، ص.89).

ووجدت إشارات جنسية طفيفة توجي بوجود علاقة جنسية مثلية بين جلجامش وإنكيديو من خلال الصداقة الحميمة بينهما فقد جاء قول جلجامش "أحببته وانحنيت كما أنحني على امرأة" (نفسه، ص.87)، فكانت العلاقة بينهما علاقة شاذة تبرز خاصة بعد رفض جلجامش النساء والابتعاد عنهن (الماجدي، 1988، صص.205-206). ويتنبه المتدبر لنص الملحمة إلى تفشي ظاهرة البغاء بين الجنسنيين في مقطوعة تبارك فيها البغي اللواط وتحت أنكيديو على اقتناص متعة الغلمان وكرع لذاذتها قائلة:

امض إلى أوروك المنيعه يا أنكيديو

حيث يزهو الناس دوماً بحلل الاحتفال

وكل يوم من أيامهم عيد

حيث الغلمان المختنون يرتعون

والبغايا المقدسات بأشكال فائنة يمرحن

طافحات شهوة لاهيات طرباً

يجذبن أكابر القوم إلى أسرتهن ليلاً" (السواح، 1987، ص.101)

وقد كان البغاء "تعبيراً عن نذر قرباني، أو بمثابة أضحية ذكرية تليق بالإله المفترض وتستمد القوة والمدد الحياتي منه" (محمود، 2016، ص.56).

أما في الحضارة الإغريقية اليونانية فقد كان الجنس فيها مقدّساً خصوصاً مع الآلهة أفروديت وهرمس وإيروس وأرتميس. وشاعت الإباحية الجنسية بين الأخ وأخته والأب وابنته (السعداوي، 1986، ص.13)، واشتهرت طقوس الجنس الجماعي في أعياد الآلهة سيبل وديمتر وديونيسوس الذي كانت ديانتها "أكثر ديانات العالم القديم تركيزاً على الطقوس الجنسي باعتباره وسيلة اتصال بالقوى الإلهية، فبالخمرة والممارسة الجنسية يتوصل المتصوف الديونيسي إلى الاتحاد بديونيسوس روح الخصوبة الكونية المثبتة في العالم ومخلوقاته" (السواح، 1985، ص.180).

وكان اللواط الأس الذي انبنت عليه الحضارة اليونانية مثلما أشاد بذلك ول ديورانت حينما قال: "أما اللواط فقد كاد يصبح من مستلزمات بعث الحضارة اليونانية وكان الكتاب الإنسانيون يكتبون عنه بما يشبه الاعتزاز العلمي أمثال أرسطو، بوليتان سنودو.." (ديورانت، 1959، ص.114)، وصار اللواط أفضل فنون الحياة عند اليونانيين لذلك احتفى به الفلاسفة لأنه كان "يعبر عن فتوح جسدية، حيث قيمت الأجساد من خلاله، ومن خلالها كان تأسيس الإلهي في الجسد، وذلك بوضع الأجساد في إطار واحد قيمي، حيث يفهم الإلهي عبر عملية التأسيس تلك رغم أن الجسد لم يفقد توزعه التراتبي اجتماعياً" (محمود، 2017، ص.25).

سنام الأمر إذن لقد بدا الشذوذ الجنسي سلوكاً تفاقضته أساطير الحضارات القديمة الهندية منها والمصرية والبابلية والسومرية واليونانية، وهو فعل أقدم عليه الإنسان في العالم القديم ليتصل بالآلهة، قبل أن يكون فعلاً لاقتناص المتعة، لذلك كان فعلاً مقدّساً. ولا شك أن هذه الظاهرة ستمتدّ إلى الديانات التوحيدية إذ بين الأسطورة والدين خيط رفيع، وعليه فإنّ الشذوذ الجنسي سيرحل إلى الأديان لسيما اليهودية والمسيحية والإسلام، وستشف النصوص المقدّسة عنه.

3- الشذوذ الجنسي في الأديان:

3-1 الشذوذ الجنسي في اليهودية

يلحظ المتدبر لنص العهد القديم أنّ الجنس كان من أوكد القضايا التي توقف عندها المشرّع منذ أن أثّرت قصة خطيئة آدم مع حواء، إذ بعد أن اخترق الزوجان المحظور وأكلا من شجرة المعرفة المحرّمة كشفت عورتهم (التكوين 3: 7)، وأدركا الجنس "فَعَاشَرَ آدَمُ حَوَّاءَ زَوْجَتَهُ فَحَبِلَتْ وَوَلَدَتْ ابْنًا أَسْمَتْهُ قَايِينَ" (التكوين 4: 1)، ثم تكاثروا نسلها. ونظراً بالإحالة على الجنس أيضاً في مسألة الختان في قصة إبراهيم مع يهوه، أو قل في قصة "التعاقد القضيب بين المعبود وبين الحبر أبرام الأرامي" (مقار، 1998، ص.18)، إذ الختان رمز العهد بين الرب ونبيه إبراهيم الذي خاطبه قائلاً: "هَذَا هُوَ عَهْدِي الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ وَبَيْنَ ذُرِّيَّتِكَ مِنْ بَعْدِكَ الَّذِي عَلَيْكُمْ أَنْ تَحْفَظُوهُ: أَنْ يُخْتَنَ كُلُّ ذَكَرٍ مِنْكُمْ، تَخْتَنُونَ رَأْسَ قُلُوبَةٍ

عُرِّلَتْكُمْ فَتَكُونُ عَلَامَةً الْعَهْدِ الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ". وهو عهد سيّامن به إبراهيم تكثير نسله فقد خاطبه الرب قائلا: "أَجْعَلْ عَهْدِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ وَأَكْثُرْ نَسْلَكَ جِدًّا" (التكوين 17: 2).

كما نتوقف عند تيمة الجنس أيضا في إحدى وصايا موسى حين نبّه من مغبة الزنا قائلا: "لَا تَزْنِ" (الخروج 20: 14)، وحين أفاض الرب وهو يخاطب نبيه موسى في توضيح معنى الزنا ووجوهه وعقوبته في سفر اللاويين وفي مقطع مستفيض أتى فيه على صنوف شتى من الشذوذ الجنسي كالزنى واللواط وسفاح الأقارب (اللاويين 20: 10-21). ونقف عند الجنس أيضا في "نشيد الأنشاد" الذي ينقل قصة عشق بين حبيبين انقلب فيها الحب إلى شبق حاد وطلب للذة الجسدية وعجّ فيها النص بمعجم جنسي فاضح (نشيد الأنشاد).

فالشذوذ الجنسي في اليهودية واقع لأن "التشديد على منعه (في الخطاب الإلهي) يعني في حقيقته شدة حضوره" (محمود، 2017، ص. 31). ولكن رغم صرامة حكم المشرّع إلا أن المتصفح لهذا النص المقدّس يظفر بنماذج عديدة للشذوذ الجنسي. إذ يطالعك الزنا حقيقة لا يمكن أن يتنكر لها اليهودي مادام النص المقدّس قد أقربها، فأنت واجد في سفر حزقيال نصّا طريفا يوبخ فيه الربّ إسرائيل لوقوعها في الدنس والجنس الحرام فهو القائل لها: "وَلَكِنَّكَ إِعْتَمَدْتِ عَلَى جَمَالِكَ وَزَيْنْتِ إِنْكَالًا عَلَى شَهْرَتِكَ. أَغْدَقْتِ عَلَى كُلِّ غَائِبٍ سَبِيلَ رَاغِبٍ فِيكَ، وَأَخَذْتَ بَعْضَ ثِيَابِكَ فَصَنَعْتَ لِنَفْسِكَ مَشَارِفَ لِلْأَصْنَامِ مُلَوَّنَةً زَيْنْتِ عَلَيْهَا زَيْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مَثِيلٌ وَلَنْ يَكُونَ" (حزقيال 16: 15-16) بل إنه يضيف أنها فاجرة ارتكبت الفواحش وشيّدت ماخورا عند ناصية كل طريق وتلذّدت بعشاقها ومحبيها وكشفت عن عورتها (حزقيال 16: 22-37).

وإنّ المتمعن في ثنايا العهد القديم تستوقفه عديد القصص للشذوذ الجنسي كنحو زنا الأب مع ابنته مثلما يجليه نموذج النبي لوط مع ابنتيه اللتين سقتاه خمرا لتضطجعا معه وتحملان منه (التكوين 19: 30-38)، وزنا الابن بزوجة أبيه مثلما فعل رؤوبين بن يعقوب الأكبر بسرية أبيه بلهة (التكوين 35: 22). وزنا الأب بكنته كما حصل مع يهوذا حين همّ بمعاشرة زوجة ابنه ظلّنا منه أنها زانية، إذ عندما لمحها "وَقَدْ نَزَعَتْ عَنْهَا ثِيَابَ تَرْمُلِهَا وَتَبَرَّقَعَتْ وَتَلَفَّعَتْ" (التكوين 38: 14) "ظَلَّهَا زَانِيَةٌ لِأَنَّهَا كَانَتْ تُغَطِّي وَجْهَهَا، فَمَالَ نَحْوَهَا إِلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ وَقَالَ دَعِينِي أَعَاشِرُكِ وَلَمْ يَكُنْ يَذَرِي أَنَّهَا كُنْتُهُ.. وَعَاشَرَهَا فَحَمَلَتْ مِنْهُ" (التكوين 38: 15-18). والزنا أيضا تجليه قصة داود مع زوجه قائد جيشه بشبع التي لمحها تغتسل فانهر بجمالها الأخاذ واستدعاها إلى قصره فلما أقبلت إليه "ضَاجَعَهَا إِذْ كَانَتْ قَدْ تَطَهَّرَتْ مِنْ طَمَحِهَا ثُمَّ رَجَعَتْ إِلَى بَيْتِهَا وَحَمَلَتْ الْمَرْأَةَ.. فَوَلَدَتْ لَهُ ابْنًا دَعَاهُ سُلَيْمَانُ" (2صم 11: 4-5). أما الفتاة العذراء "أبيشج الشونمية" فقد كان يضطجع في حضنها ملتصقا الدفء بعد أن شاخ (1ملو 1: 3-1).

أما ابنه أبشالوم فقد عنت له نفسه ممارسة الجنس الجماعي مع محظيات أبيه "الُلَّوَاتِي تَرْكَبْنَ لِلْمُحَافَظَةِ عَلَى الْقَصْرِ" (2صم 16: 21) فدخل لمضاجعتهم "عَلَى مَرَأَى جَمِيعِ الْإِسْرَائِيلِيِّينَ" (2صم 16: 22). وقد يعثر القارئ لنص العهد القديم أيضا على صورة لسفاح الأقارب توضّحها قصة أمنون الذي

عشق أخته ثامار ورغب فيها فتمارض في سريريه ودعاها إلى بيته بتعلة أن ترعاه بمرضه، لكنه طلب منها أن تضطجع معه فتمنعت وتوسلت له حتى لا يقترب مثل هذا العمل الشنيع لكنه "أَبَى أَنْ يَسْتَمَعَ لِقَوَّسَلَامَتِهَا بَلْ تَغْلَبَ عَلَيَّهَا وَاعْتَصَبَهَا" (2صم 13: 14). والاعتصاب في النص المقدّس يمكن أن يطال الآخر من غير الأخت كما حصل مع بني بنيامين الذي اعتدوا على بنات شيلوه حين خرجن للرقص فاخطف كل واحد امرأة وهرب بها إلى أرض بنيامين ليتزوجها (القضاة 21: 20-23).

أضف إلى ذلك يقف المستقبل على هذا النص أيضا عند ظاهرة اللواط كما تلوح لنا في قصة لوط مع رجال مدينة سدوم الذين حاصروا بيته من أجل الظفر بضيفيه لمضاجعتهم مردّدين: "أَيْنَ الرَّجُلَانِ الَّذِينَ اسْتَضَفْتُمَا اللَّيْلَةَ؟ أَخْرِجْهُمَا إِلَيْنَا لِنُضَاجِعَهُمَا" (التكوين 19: 5). فيستنكر لوط هذا الصنيع من قومه معتبرا إياه شرا لكنه لم يتردد في عرض ابنتيه عليهم مخاطبا إياهم قائلا: "هُوَ ذَا لِي ابْنَتَانِ عَذْرَاوَانِ أَخْرِجْهُمَا إِلَيْكُمْ فَأَفْعَلُوا بِهِمَا مَا يَخْلُو لَكُمْ" (التكوين 19: 8) ، مبيحا بذلك اغتصابهما.

والذي يسترعيه الانتباه هنا أن الشذوذ الجنسي طال الأنبياء حتى بات صفة مكيئة فيهم لأن اليهود لا يعترفون بعصمة أنبيائهم، ثم إنّ الربّ يهوه اصطفى هؤلاء الأنبياء وبارك شذوذهم مثلما يجليه الكتاب المقدّس وبذلك صارت الإباحية الجنسية في المرجعية اليهودية أمرا مشروعا وموصولا بالمقدّس مادام النبي وسيط الرب بين البشر قد اقترف هذا الأمر، وبذلك أضحي الشذوذ الجنسي فعلا مقدّسا وليس أدل على ذلك من أن اليهود إنّما كانوا يمارسون الزنى في المعابد والهيكل، بل إنهم كانوا يقدّسون ما قامت به الزانية راحاب (يشوع 2: 11-24) ، وما اقترفته يهوديت (نخبة من اللاهوتيين، د.ت، صص. 1084) وبياركون أستير التي أقاموا لذكراها عيدا هو الفوريم أو عيد المساخر (أستير 9: 16-28).

2-3- الشذوذ الجنسي في المسيحية

لم يكن موضوع الجنس في المسيحية مطروحا بنحو الجراءة التي طرح بها في التقليد اليهودي، فالمتخصّص للعهد الجديد لا يعثر على قصص جلية للشذوذ الجنسي مثلما نلفيه في العهد القديم ولكنه يقف على آيات تنبه من مغبة الوقوع في الجنس الحرام وفي فوضى الجنس وتحتّ على ضرورة كبح الشهوات الدنيئة التي تباينت بين السحاق واللواط لأنها مخالفة للطبيعة التي أقرّها الإله. مثلما يتضح لنا ذلك في الرسالة إلى مؤمني روما التي جاء فيها قوله: "لِهَذَا السَّبَبِ أَسَلَّمَهُمُ اللَّهُ إِلَى الشَّهَوَاتِ الْخَرِيَةِ. فَإِنَّ إِيَّاهُمْ تَحَوَّلَ عَنْ اسْتِغْمَالِ أَجْسَادِهِنَّ بِالطَّرِيقَةِ الطَّبِيعِيَّةِ إِلَى اسْتِغْمَالِهَا بِطَرِيقَةٍ مُخَالِفَةٍ لِلطَّبِيعَةِ. وَكَذَلِكَ تَحَوَّلَ الذُّكُورُ أَيضًا عَنْ اسْتِغْمَالِ الْأُنثَى بِالطَّرِيقَةِ الطَّبِيعِيَّةِ وَاتَّهَبُوا شَهْوَةً بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ مُرْتَكِبِينَ الْفَحْشَاءَ ذُكُورًا بِذُكُورٍ فَلِاسْتَحْقِ أَنْ يَنَالُوا فِي أَنْفُسِهِمُ الْجَزَاءَ الْعَادِلَ عَلَى ضَلَالَتِهِمْ" (روما : 26-27).

فالبين إذن أن المسيحيين كانوا عبيدا للنجاسة والإثم فلم يعرفوا قانون اقتصاد المتع، بل إنهم انقادوا وراء شهواتهم انقيادا أعمى لذلك حذرهم المسيح قائلا: **لَا تَمْلِكَنَّ الْخَطِيئَةَ فِي جَسَدِكُمْ أَمَّا كَيْتِ فَتَنْقَادُوا لَهَا فِي شَهَوَاتِهِ وَلَا تَقْدِمُوا أَعْضَاءَكُمْ لِلْخَطِيئَةِ أَسْلِحَةً لِلْإِثْمِ، بَلْ قَدِّمُوا أَنْفُسَكُمْ لِلَّهِ بِاعْتِبَارِكُمْ أَقْمَتُمْ مِنْ بَيْنِ الْأَمْوَاتِ أَحْيَاءَ وَأَعْضَاءَكُمْ لِلَّهِ أَسْلِحَةً لِلرَّبِّ" و "كَمَا قَدَّمْتُمْ سَابِقًا أَعْضَاءَكُمْ عِبِيدًا لِلنَّجَاسَةِ وَالْإِثْمِ فِي خِدْمَةِ الْإِثْمِ كَذَلِكَ قَدِّمُوا الْآنَ أَعْضَاءَكُمْ عِبِيدًا لِلرَّبِّ فِي خِدْمَةِ الْقَدَاسَةِ" (روما 6: 13-19)، والبين أيضا أن العلاقة تبدو وطيدة بين الشذوذ الجنسي والمقدس إذ لا قداسة إلا كنف طهارة الجنس والجسد، لذلك أدان المسيح الزنا حين خاطب قومه قائلا: **"قَدْ شَاعَ فِعَالًا أَنْ يَبْنِيَكُمْ زَنَى، وَمِثْلُ هَذَا الرِّبِّي لَا يُوجَدُ حَتَّى يَبْنَى الْوَلِيِّينَ، ذَلِكَ بِأَنَّ رَجُلًا مِنْكُمْ يُعَاشِرُ زَوْجَةَ أَبِيهِ" (1 مؤمني كورنثوس 5: 1).****

والزنا محرّم لأنه إساءة للجسد الذي هو بعض من جسد المسيح وتناول على قداسة المسيح نفسه وهو صنعة الإله، وذلك ما دفع بالمسيح إلى استنكار هذا الضرب من الشذوذ الجنسي والقطع معه مرددا في لهجة زجر: **"أَهْرَبُوا مِنَ الرِّبَا فَكُلُّ خَطِيئَةٍ يَرْتَكِبُهَا الْإِنْسَانُ هِيَ خَارِجَةٌ عَنْ جَسَدِهِ، وَأَمَّا مَنْ يَرْتَكِبُ الرِّبَا فَهُوَ يُسَيِّئُ إِلَى جَسَدِهِ الْخَاصِّ، أَمَا تَعْلَمُونَ أَنَّ جَسَدَكُمْ هُوَ هَيْكَلٌ لِلرُّوحِ الْقُدُسِ السَّائِكِ فِيكُمْ وَالَّذِي هُوَ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ وَأَنْتُمْ أَنْتُمْ لَسْتُمْ مِلْكَاءَ أَنْفُسِكُمْ، لِأَنَّكُمْ قَدْ إِشْتَرَيْتُمْ بِفِدْيَةٍ، إِذَنْ مَجِّدُوا اللَّهَ فِي أَجْسَادِكُمْ" (1 مؤمني كورنثوس 6: 18-20).** بل إن المسيح نبّه من مغبة الوقوع في مثل هذا الشذوذ لأنه وجه من وجوه معصية الرب واقتراه قد يؤدي إلى الخروج من مملكته فهو القائل: **"أَمَّا تَعْلَمُونَ أَنَّ الظَّالِمِينَ لَنْ يَرِثُوا مَلَكُوتَ اللَّهِ؟ لَا تَضِلُّوا فَإِنَّ مَلَكُوتَ اللَّهِ لَنْ يَرِثَهُ الرِّبَاةُ وَلَا عَابِدُوا الْأَصْنَامِ وَلَا الْفَاسِقُونَ وَلَا الْمُخَنَّثُونَ وَلَا مُضَاجِعُو الذُّكُورِ" (مؤمني كورنثوس 6: 9).**

فالزنا إذن سلوك مرفوض في عالم القداسة المسيحية لأنه كفر إذ هو لا يقلّ خطورة عن الفسق أو عبادة الوثن أو السرقة أو الاغتصاب أو غيرها من الموبقات ولأن الجسد مقدس بل هو بعض من الرب لذلك فهو **"لَيْسَ لِلرَّبِّي، بَلْ لِلرَّبِّ وَالرَّبُّ لِلْجَسَدِ"**.

3-3- الشذوذ الجنسي في الإسلام

عاش عرب ما قبل الإسلام حالة من الفوضى الجنسية فلم يعرفوا للمتعة المحظورة معنى، ولم تكن قضية الجنس عندهم مسألة ممنوعا طرقها بل لم تكن ممارساتهم الجنسية في الجاهلية تخدش الحياء أو تبعث على الخجل لأن المتعة كانت مطلوبة أنى تكن أشكالها. إذ العربي لم يكن ينظر إلى الجسد إلا بوصفه **"يجسد دعوة إلى تغيير مجرى الحياة لأنه يعلن ارتباطه العضوي بفوضى الحواس ورغبته في فك الارتباط مع المواضع الاجتماعية للجنس" (شبل، ص. 146).** فمحض الجنس وسيلة لدرء الفاقة والفقر ووسيلة للكسب، ذلك أنه من سنن العرب **"أنهم كانوا يكسبون بفروج إماءهم وكان لبعضهم راية منصوبة في أسواق العرب يأتيها الناس فيفجرون فيها" (ابن حبيب، 1985، ص. 340).** يضاف إلى ذلك أن العرب قد عرفوا ضربا متنوعة من النكاح فكان للمرأة خليل يختلف إليها ووجدت

المرأة ذات الراهبة وقد كانت تسمى المقسمة ووجدت الأمة أيضا التي يقع عليها الرجل فيبتاع ولدها و يشتريها

ليتخذها زوجة(نفسه، والصفحة نفسها) ، وشاع في الأوساط الجاهلية نكاح المضامدة وهو "معاشرة المرأة لغير زوجها" (الترماني، 1984، ص.20). خشية فقر أو إملاق وقد عرفت المضامدة باسم الحب الحر وهو الحب خارج نطاق الزواج، وراحت بين العرب أيضا ظاهرة المخادنة وهي المصاحبة وقد كانت "تطلق على معاشرة رهط من الرجال لامرأة واحدة"(نفسه، ص.21) ، وتعتبر هذه الظاهرة ضربا من ضروب الزنا السري وجد إلى جانب الزنا العام ويسمى بزواج صاحبات الرايات وهن البغايا اللواتي ينصبن على أبوابهن رايات ذكر أنها حمراء تكون علما فمن أرادهن دخل عليهن(علي، 1993، ص.540).

وتفشى كذلك البغاء الذي كان "مقصورا على الإيماء المجلوبات من بلاد أخرى أو المولدات وكانت تقام لهن في المدن بيوت تدعى المواخير وفي الأسواق الموسمية كسوق عكاظ وذي المجاز ودومة الجندل كان لهن بيوت من شعر"(الترماني، مرجع مذكور، ص.23) ، وكان البغاء مهنة يتعاطاها الإيماء لتسديد ضريبة يفرضها تجار الرقيق عليهن.(نفسه، والصفحة نفسها)، بل إن الأسواق قد عجت بالبغاء لأن العرب عاشوا فوضى الجنس ولم يعرفوا معنى الزوجية فقد "كان الرجل يجتمع بالمرأة ثم يتركها ليجتمع بامرأة أخرى وهكذا تكون المرأة قد اتصلت بجملة رجال كما يكون الرجل قد اتصل بجملة نساء"(علي، مرجع مذكور، ص.521).

كما راج أيضا نكاح الضيعة الذي حرّمه القرآن الكريم بصريح عبارته حين قال: "وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا"(النساء 4: 22) إذ قد كانت العرب تتزوج نساء أبنائها وهو أشنع ما كانوا يفعلون (ابن حبيب، مرجع مذكور، ص.325) ، و"كانت إحداهن إذا مات زوجها كان ابنه الأكبر أولى بها من غيره إذا شاء نكحها"(الطبري، 1984، ص.207). وشاع بين العرب أيضا نكاح الرهط وهو أن "يجتمع الرهط ما دون العشرة فيدخلون على المرأة كلهم يصيها أي يطؤها"(الألوسي، 1924، ج2، ص.4) كما عرفوا أيضا نكاح المحارم فجمعوا بين الأختين(ابن حبيب، مرجع مذكور، ص.327)، وتزوجوا من البنات وهي ظاهرة قد تكون تسربت من المجوسية ويعتبر حاجب بن زرارة أشهر من عرف في هذا الباب إذ تزوج من بنت له تدعى دخنتوس.(الألوسي، مرجع مذكور، ج2، ص.52).

فقصارى القول إذا إن العرب عاشوا حياة جنسية فوضوية لا نظام فيها فكانوا يقضون وطهرهم من الجنس كيفما كانت السبل مارقين عن أي سلطة يمكن أن تلجم رغباتهم الجنسية، وعرفوا ألوانا من الشذوذ الجنسي تباينت بين المضامدة والمخادنة والبغاء ونكاح المحارم. واللافت للانتباه أن عرب

الجاهلية لم يعرفوا اتصالا وثيقا بين هذا الشذوذ والمقدس باستثناء حادثة أساف بن يعلى الجرهني ونائلة بنت مزيد أو زيد اللذين "جاءا حاجين إلى مكة فطافا ثم دخلا جوف الكعبة ففجر الرجل بالمرأة في غفلة من الحجيج .. لكنهما في سائر الروايات التي نقلت الأسطورة مارسا الزنا وأنهما واجها عقابا سماويا حين مسخا إلى حجر"(الربيعي، 2012، ص.ص.9-10). وتذكر الأخبار أن العرب قد قدسوا هذين الصنمين فعبدهما وقدموا قرابين الذبيحة عندهما ومارسوا حلاقة رؤوسهم إذا نسكوا يقول ابن حبيب في هذا الصدد "وكان إساف ونائلة رجلا وامرأة الرجل إساف بن عمرو والمرأة نائلة بنت سهيل من جرهم، فزنيا في جوف الكعبة فمسخا حجرتين فاتخذتهما قريش يعبدونهما وكانوا يذبحون عندهما ويحلقون رؤوسهم إذا نسكوا"(ابن حبيب، 1985، ج1، ص.82).

واستمر الاعتقاد في هذه الأسطورة الدالة على وجه من وجوه الشذوذ الجنسي مع مجيء الإسلام، فبات رجم هذين الصنمين طقسا من طقوس أداء مناسك الحج. وبذلك انعقدت الصلة بين قصة الزنى والمقدس. بل إن هذه الصلة بين هذين القطبين توطدت في النص المقدس إذ لم يجب القرآن الكريم الحديث عن قضية الشذوذ الجنسي، بل إنه كان سبّاقا إلى طرحها ناسفا للتصور اليهودي للحياة الجنسية مؤكدا أن لا قداسة إلا في ظل طهارة الجنس وأن لا سبيل لوصل المقدس ما لم يضع المرء حدا لفوضى الجنس.

فالمتدبر لنص الوحي الإسلامي يقف عند قصص نبوية عديدة أثارت مشكل الشذوذ الجنسي في صلته مع المقدس، لا سيّما قصة لوط مع قومه الذين كانوا يأتون الذكور شهوة مثلما يجليه قوله تعالى: "وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ، إِنَّكُمْ لَا تَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ الْبَنَاتِ أَلَيْسَ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ"(الأعراف 7: 80-81)، أو قوله: "اتَّأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَفَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ قُلُوبَهُمْ لَا تَمْنَعُكُمْ أَلَيْسَ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ"(الشعراء 26: 26)، أو قوله أيضا: "وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ أَلَيْسَ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ" (العنكبوت 29: 28-29).

والذي تكشف عنه هذه الآيات القرآنية أن المشرع يستنكر هذا الصنف من الشذوذ الجنسي لأنه مخالف للطبيعة خارج عن التنظيم القضيبى للعالم جاعل الذكر لا الأنثى موضوعا لمتعة الذكر محطما الدالة القضيبية الطبيعية إذ الأصل أن تكون "الذكورة مظنة الفعل والأنوثة مظنة الانفعال فإذا صار الذكر منفعلا والأنثى فاعلا كان ذلك على خلاف مقتضى الطبيعة وعلى عكس الحكمة الإلهية"(الرازي، 2000، مج.7، ص.176)، فاللواط إذن سلوك بغيض ومستبشع في عالم المقدس وبشاعته لا تقل درجة عن الزنى الذي حرّمه الإسلام بصريح الآية القرآنية القائلة: "الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيْشَهِدَ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ"(النور 24: 2).

وأما سفاح الأقارب فقد تنبه إليه المشرع وحرّمه أيضا بصريح عبارته في "سورة النساء" حين يقول: "وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا. حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرِّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا" (النساء 4: 22-23). وجلي في هاتين الآيتين أن هذا الوجه من الشذوذ الجنسي ممنوع لأنه ضرب من الفساد والفحش الذي من شأنه أن يتسبب في اختلاط النسب وعموم الدنس الذي قد يخالف الطبيعة الإلهية. فالجنس الحلال لا يكون إلا في كنف الطهارة وفي كنف الحدود التي وضعها الله لتنظم حياة البشر على وجه البسيطة.

4. خاتمة:

لقد أسلمنا النظر في قضية الشذوذ الجنسي وصلته بالمقدس إلى أن تاريخ الإنسانية إنما هو تاريخ إيروسي شبيقي بامتياز، وإن قراءة ظاهرة الشذوذ الجنسي عبر الأساطير والأديان ليس إلا قراءة لصفحة من تاريخ الجسد الذي يسكننا ونسكنه وقراءة لأشكال المتعة المحظورة في علاقتها بالمقدس باعتبار أن هذا الشذوذ هو حقيقتنا التي لا يمكن أن نتفصى منها وموضوعا داخلا في تركيبنا النفسي الثقافي. بل هو موضوع لا بد من طرده وإن ظل منسيا رغم أن كتب القدامى ومصنفاتهم قد فاضت بأخبار الشاذين جنسيا وقصصهم.

وقد انتهينا إلى أن الشذوذ الجنسي في الأساطير القديمة ظل موصولا بالماورائي وظلت ممارسته نشدانا للخفي ومعانقة للمقدس المطلق، ولم تكن هذه الممارسة محكومة بمعايير الحلال والحرام أو النجاسة والطهارة، التي سرعان ما ستصبح قيودا مقننة لهذه الممارسة الجنسية في الأديان تدريجيا بدءا من اليهودية وصولا إلى الإسلام الذي سيضع حدا لهذه الظاهرة معتبرا إياها صورة لفوضى الجنس. فالشذوذ الجنسي ليس إلا إساءة للنظام القيمي الذي أقره المقدس في النص لذلك كانت النماذج النبوية التي تناولها النص القرآني قصصا وضعها المقدس بغاية ترشيد المتعة المضادة، فلا يمكن كنه المقدس إلا بالمحرّم والممنوع ولا يمكن للجنس الحلال أن يستحيل طقسا مقدسا ما لم يقع فهم الدنس أو قل الشذوذ الجنسي باعتباره مروقا عن الفطرة والطبيعة الإنسانية.

5. قائمة المراجع:

*-المصادر

- القرآن الكريم، 1425هـ، اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع.

- الكتاب المقدس، 1988، كتاب الحياة، ترجمة تفسيرية.

*-المراجع

- ابن حبيب(أبو جعفر محمد)، 1942، المحبر، مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية.

- ابن حبيب(محمد)، 1985، المنمق في أخبار قريش، عام الكتب، بيروت.

- ابن قتيبة(أبو محمد عبد الله)، د.ت.، المعارف، تحقيق. ثروت عكاشة، القاهرة.

- ابن منظور(محمد)، 1999، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

- الألويسي(السيد محمد شكري)، 1924، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، تحقيق محمد بهجت الأثري، دار الكتب العلمية، مصر.

- بارندر(جيفري)، د.ت.، الجنس في أديان العالم، ترجمة نور الدين المهلول، الكلمة.

- باقر(طه)، 1980، ملحمة جلجامش، دار الحرية للطباعة والنشر، بغداد.

- بريستو(جوزيف)، 2007، الجنسية، ترجمة عدنان حسن، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا.

- الترماني(عبد السلام)، 1984، الزواج عند العرب في الجاهلية والإسلام: دراسة مقارنة، عام المعرفة، عدد 80، أغسطس.

- التيجاني(أبو عبد الله بن أحمد)، 1992، تحفة العروس وممتعة النفوس، تحقيق جلال العطية، لندن.

- التيفاشي(أحمد بن يوسف)، 1992، نزهة الألباب فيما لا يوجد في كتاب، تحقيق جمال جمعة، لندن.

- دونان(هاستنغز) وماغوان(فيونا)، 2017، أنتروبولوجيا الجنس، المركز الأكاديمي للأبحاث، بيروت.

- ديورانت(ول)، 1959، قصة الحضارة، الجزء الرابع، المجلد الخامس، ترجمة محمد بدران.

- الرازي(فخر الدين)، 2000، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية، بيروت.

- الربيعي(فاضل)، 2012، إساف ونائلة أسطورة الحب الأبدي في الجاهلية، جداول للنشر والتوزيع، لبنان.

- السعداوي(نوال)، 1986، الرجل والجنس، المؤسسة المصرية للدراسات والنشر، القاهرة.

- السواح(فراس)، 1987، كنوز الأعماق، قراءة في ملحمة جلجامش، العربي سومر، نيقوسيا.

- _____، 1985، لغز عشتار، دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، سوريا - دمشق.

- السيوطي (جلال الدين)، د.ت.، الوشاح في فوائد النكاح، تحقيق طلعت حسن عبد القوي، دار الكتاب العربي، دمشق.
- _____، رشف الزلال من السحر الحلال، 1997، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، لبنان.
- شبل(مالك)، الجنس وروح السراري، إفريقيا للنشر، المغرب.
- صليبيا(جميل)، 1982، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان.
- الطبري (محمد بن جرير)، 1984، جامع البيان عن تأويل القرآن، بيروت.
- العطوي(محسن محمد)، د.ت.، الجنس في التصور الإسلامي، دار المعارف للنشر والتوزيع.
- عطية (محي الدين محمد)، 2015، الشذوذ الجنسي: حقيقته وأشكاله ودور الإسلام في الوقاية منه وعلاجه، أمواج للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
- علي(جواد)، 1993، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام.
- علي(فاضل عبد الواحد)، 1999، عشتار ومأساة تموز، الأهلية للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا، دمشق.
- كريم(صموئيل)، 2017، طقوس الجنس المقدس عند السومريين، ترجمة نهاد خياطة، دار علاء الدين للنشر والطباعة والتوزيع، سوريا، دمشق، ودار ومؤسسة رسلان للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا، دمشق.
- _____، من ألواح سومر، د.ت.، ترجمة طه باقر، دار مكتبة سور، حلب.
- الماجدي(خزعل)، 1988، إنجيل بابل: نصوص الآلهة، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن.
- مانيش(ليز)، 2002، الحياة الجنسية في مصر، ترجمة رفعت السيد علي، جماعة حور الثقافية.
- محمود(إبراهيم)، 1994، الجنس في القرآن، رياض الريس للكتب والنشر.
- _____، الشبق المحرم، رؤية للنشر والتوزيع، 2016.
- _____، المتعة المحظورة، 2017، الشذوذ الجنسي في تاريخ العرب، رؤية للنشر والتوزيع، مصر.
- مقار(شفيق)، 1998، الجنس في التوراة وسائر العهد القديم، دار يعرب للدراسات والنشر.
- النفزاوي، 1993، الروض العاطر في نزهة الخاطر، لندن، رياض الريس للكتب والنشر.
- نخبة من المختصين اللاهوتيين، د.ت.، قاموس الكتاب المقدس، دار الثقافة، القاهرة، الطبعة الثامنة.
- يونس (صلاح رزق عبد الغفار)، 2010، جرائم الشذوذ الجنسي: دراسة مقارنة في ضوء الشرائع السماوية والقوانين الوضعية، دار الفكر والقانون، مصر.